ترجمة المرحوم نجيب الحداد

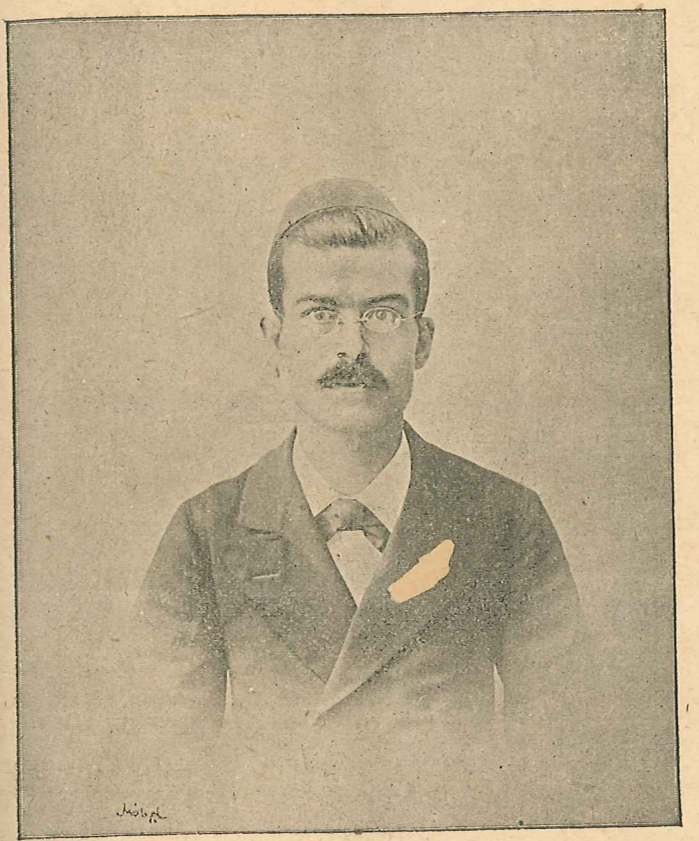

بينا هممنا بوضع ترجمةٍ للفقيد العزيز على ما وعدنا بهِ في الجزء السابق اذ وردتنا لهُ الترجمة الآتية من حضرة الكاتب الالمعيّ الصديق الابرّ يوحنا افندي سركيس بالاسكندرية ضمّنها من دقائق وصفهِ ما لم يبقِ حاجةً في نفس يعقوب وصدّرها بتأبينٍ هو من ارقّ ما ناح بهِ محبّ على محبوب فاثبتناها بمبناها الرائق ومعناها الفائق قال حفظهُ الله

سلامٌ عليكِ يا روح نجيب الشريفة حيثما انتِ الآن مقيمة سوآءٌ كنتِ في ارقى فراديس الجنان تنظمين للملائكة تسابيح الرحمن ام كنتِ سابحةً في عالم الفضآء تضيئين بين هذه الدراريّ الزهرآء ام كنتِ طائرةً في الهوآء ام كنتِ في عالم النور او في عالم الظلمآء حيث تلتقي الارواح خالدةً بعد الانتقال من عالم الفنآء * سلامٌ عليك يا نجيب من صديقٍ وفيٍّ ودّع سرور الدنيا يوم ودّعك وشيّع الانس والصفآء يوم شيّعك وكاد يُقضى عليهِ اسًى يوم قضيت وتمضي روحهُ على اثرك يوم مضيت * اترى عرف هذا البين ان كل دوآءٍ مهما عزّ مبذول فيما يصيبك من الادوآء فابتلاك بالدآء الذي لا يرجى منهُ شفآء ام تراهُ كان عالماً ان من المحيين حولك نطاقاً يردّ كل اقتحام فاختلسك اختلاساً تحت جنح الظلام * يا للردي الخائن كيف سطا على ذاك الشباب الغض فأذواه واعتدى على ذاك الهيكل الشريف فارداه واستطال على ذاك المقام الرفيع فقوّض اساسه واستحكم من ذلك الصدر الرحيب فاخمد انفاسه * ايعلم القبر ايُّ نورٍ طلع في ظلمتهِ فحوّلها نورا واي كبيرٍ ثوى فيهِ وهو الصغير فصيرهُ كبيرا * أعَلِم المشيعون من الراحل العزيز الذي انشب البين فيهِ ظفرَه أعَلِم الواقفون على القبر من الثاوي الكريم الذي اودعوهُ قبرَه اتعلم العيون التي تبكيهِ من الذي ودّعها ثم لن يمتعها بنظرة * ان الراحل سيدٌ من سادات البلاغة واميرٌ من امرآئها بل امير القلوب الذي كان مستولياً على اعنة اهوآئها ان الراحل هو الذي كانت الفاظهُ تجري مجرى المآء الزلال وكانت معانيهِ تفعل فعل السحر الحلال ان الراحل هو الذي تبكيهِ الاقلام

لهفةً واسفا ان الراحل هو نجيب الحداد وكفى * فلا بدع اذن اذا بكاك يا نجيب ادباء القطرين بل كل من نطق بلسان العرب ولا بدع اذا اتشحت عليك بالحدادِ طروس الادب وقد كنت عنوان مجدهِ وفخارهِ وحامل لوآئهِ ورافع مناره بل لا بدع اذا عصاني القلم اليوم فيما اخطهُ لك من الرثآء لا لأفيك بعض حقك ولكن لأفي حق قلبي من النوح والبكآء

يا ليت اني ما قنيتك صاحباً كم قنيةٍ جلبت اسًى لفؤادِ
بردُ القلوب بمن يُحَبُّ بقآؤهُ مما يجرُّ حرارة الاكبادِ

اجل ليت لم يكن بيني وبينك ذاك الولآء اذن لما كنت اليوم كما اراني سائل الجفن دامي الاحشآء ولما تقطعت مهجتي حسراتٍ لما شاهدت من غصن شبابك الذابل ولا سقيت قبرك بالعبرات وقد توارى فيهِ بدر علمك الآفل * ليت عيني لم تكتحل بمرآك فلم ترمد يوم نواك وليت اذني لم تستودع تلك الدرر في حياتك فلم يردّها الدمع يواقيت من عيني يوم مماتك وليت نفسي لم تسرّ بصحبتك فقد احزنتها اضعاف ذلك السرور في غربتك * لا بل هنيئاً لي بما كان بيننا من صفو الذمام وطول الالتزام فقد عرفت بذلك عظمة صنع الخالق بما اراني من المعجزات في افراد الخلائق وعرفت كيف يكون الانسان في عقلهِ كبيراً حتى تخيلهُ الهاً صغيراً يبعث من سمآء ذكآئهِ ناراً ونوراً * عرفت فيك كيف يكون البيان سحرا وعرفت كيف تعصر الاقلام خمرا ويُنظَم اللفظ درّا عرفت كيف تعنو جياد الالفاظ لفرسان المعاني والبيان وكيف يكون صرير القلم تغريداً حتى نخالهُ على الطرس طيراً على الافنان عرفت

كيف يكون التصور بعيداً والفكر سديداً والخاطر سريعاً والقلم مطيعاً اجل عرفت كل ذلك فيك ولا ابالغ بل انت فوق ما اصف وفيك اكثر مما اعرف فلقد كنت الشاعر المجيد تقيد الخيال الآبد وتصطاد المعنى الشارد

ولقد رايتك والكلام جواهرٌ تُومٌ فبكرٌ في النظام وثيّبُ
فرأيتُ قُسًّا في عكاظٍ يخطبُ ورأيت ليلى الاخيلية تندبُ
وكثير عزة يوم بينٍ ينسبُ وابن المقفع في اليتيمة يسهبُ
هذه صفتهُ يا قوم وما وصفتهُ الا بما عرفتهُ ولمّا كنت لا احب ان اذكر لهُ الحسنات الا بالبينات ولا انعتهُ بالاجادة والاحسان الا عن برهان فانا اذكر من قولهِ للقرآء ما حضر الذهن الآن وهو قولهُ من قصيدة في القمر

فيا شبه الحبيب حويت منهُ بهاهُ وفاتنا منك الفتونُ
وقاك الله كم تفني قروناً ولا تفني محياك القرونُ
وكم تحيي الظلام وانت ميتٌ وكم تعلو النجوم وانت دونُ
حويت عجائباً فدعاك قومٌ الهاً حبهُ في الناس دينُ
تخبرهم باعداد الليالي ويلزمك السكوت فما تبينُ
كانك في هلالك نصل سيفٍ اجادت صقل صفحتهِ القيونُ
تقطع منك اعناق الليالي وليس سوى الانام لها وتينُ
تُرى فيك البداءة كيف كانت قديماً والفنآء متى يكونُ
وهل يبقى الوجود بلا فنآءٍ وهل تعفو عن الشهب المنونُ

وهذا الشعر كما يراهُ القرآء يتدفق سلاسةً وطبعاً وهو عدا انهُ وصف جديد لم يسبق اليهِ احد من قبل على كثرة وصف الشعرآء للقمر فانهُ يجري على طريقة هي السهل الممتنع لبلاغة تركيبهِ وعذوبة الفاظهِ . على ان فقيدنا لم ينفرد بنوع خاصّ من الشعر فنقول انهُ قد اجاد فيهِ لتعلقهِ عليهِ وحدهُ كما ترى الفارض مثلاً قد اجاد في الغزل فلم ينظم في سواهُ او كما اختص ابو تمام بالرثآء والمديح فكانت كل شهرتهِ بسببهما او كما اختص العباس بن الاحنف وعمر بن ابي ربيعة بطيب المنافثة ووصف مجالس النسآء فلم يسبقهما احد اذ لم يكن لهما من شعرهما غير ذلك بل ان الفقيد قلّ ان نظم في غرض او في بابٍ من ابواب الشعر سوآءٌ كان حقيقةً او تخيلاً الا اجاد فيهِ الى الغاية حتى تعجب منهُ كيف بقيت في فؤادهِ فضلةٌ للاجادة في سواهُ . ثم ان لدينا من الشعرآء جماعةً لم يُجد الواحد منهم في حياتهِ الا في قصيدة او قصيدتين فكانتا سبب اشتهارهِ وأُغفل بسببهما سائر شعرهِ كلامية ابن الوردي ولامية الطغرآئي وبردة البوصيري وهمزيتهِ المشهورتين وغيرهم كأن الطبيعة افرغت كل شاعريتهم فيما قالوهُ من هذه القصائد فكانت هي في طبقة وسائر شعرهم في طبقةٍ اخرى ولذلك تُرك سائر ما قالوهُ نسياً منسيًّا . ولكن لفقيدنا قصائد عديدة متناولة كل معنى وغرض وكل قصيدةٍ منها منفردة في منزلتها لا يكاد يُدانى فيها . ومن ذلك قصيدة لهُ في القمار نشرت في الجزء السابع عشر من « البيان » فليطالعها من اراد مصداق ما ذكرناهُ يجد انها قد تناولت كل حالات القمار ووصف جميع اطوار المقامرين حتى ليخال ان الفقيد كان من اول المقامرين واكثرهم علاقةً بهذا الشأن مع انهُ

رحمهُ الله لم يقامر قطّ في حياتهِ ولم يشهد مجلساً من مجالس القمار وهذا ما يدلّ على بعد تصورهِ كما ان القصيدة تدل على تمام شاعريتهِ وطول باعهِ في صناعة النظم ووضع المعاني في قوالبها الحقيقية . ومن تفقد رواياتهِ وجد لهُ في اثنآئها من قصائد الحماسة التي كان ينظمها عن لسان غيرهِ من اشخاص تلك الروايات وغيرها من قصائد العتاب والشكوى والاعتذار وسائر الاغراض ما يضيق هذا المقام عن استيعابهِ وغالبها من حسنات الشعر وعيونهِ وذلك فضلاً عن قصائدهِ الخاصة في اغراض المدح والرثآء والنسيب وسائر ما هنالك مما هو مسطور في ديوانهِ الذي سيظهر قريباً ان شآء الله فيكون فيهِ غنيةٌ عن اطالة الشرح في هذا المقام

اما نثرهُ فلا حاجة الى الاسهاب في ذكرهِ والاستشهاد بهِ لشهرتهِ واستفاضتهِ لانهُ بقي سبعة عشر عاماً لم يرح قلمهُ من الكتابة اذ ابتدأ وهو في الخامسة عشرة من عمرهِ في كتابة جريدة الاهرام وانتهى قبل وفاتهِ بشهرين بكتابة جريدة السلام . ولهذا فاني لا اعتدُّهُ قد مات في الثانية والثلاثين بل اني لو جريت على موجب القياس بين عمرهِ وعملهِ لكان عمرهُ بالقياس الى مبلغ ما كتب يتجاوز الخمسين والستين لأن ما كتبهُ في هذه المدة القصيرة لو جُمع لاجتمع منهُ مجلداتٌ كثيرة . وجل ما انشأهُ كان من الجيد الحسن على حين قل ان يكون في الكثير حسن كثير وما كان احراهُ ان يكون كلهُ حسناً لولا اضطرارهُ الى الاسراع اتباعاً لما تقتضيهِ حالة الصحائف في بلادنا من تفرُّد الكاتب او الكاتبين بتولي جريدة كبيرة في كل وجوهها وشؤونها وهو النقص الذي يذهب بمحاسن اكثر كتابنا ويعيي

قرائحهم دون الوصول الى الكمال والاتقان

ثم ان للفقيد غير ما ذكرت من المآثر الادبية والمواهب العقلية مأثرةً باقية — ولا اقول الى الابد — لانني في وجلٍ من نجاح الآداب في بلادنا ومعرفة الآتي بفضل الماضي . الا وهي مأثرة فن الروايات وتعريبها عن الافرنج فانهُ وان لم يكن اول من اوجد هذه الطريقة فقد كان اول من اجادها وابدع فيها كثيراً حتى لم يترك لشاعر فرنسوي روايةً حسنة الا نقلها وجارى ذلك الشاعر فيها من حيث ضبط المعنى واستخدام الكلام لارقّ العواطف وادقّ الوجدانات ولو كان ممثّلو رواياتهِ بالعربية كممثليها بالافرنجية لرأينا دموع شيماتي تتناثر من اجفان كل مشاهد في التمثيل . ولكن ادباءنا وعامتنا قد عرفوا مع ذلك فضلهُ وقيمة رواياتهِ فكنا نشاهد بالحس ان الاقبال يكون حين تمثيلها اكثر جداً منهُ حين تمثيل غيرها . ولما كنت هنا اذكر الحقيقة بتمامها فانني اقول ولا اخشى الرد انهُ لولا رواياتهُ لما كان عندنا جوق تمثيل لانها تكاد تكون ثلاثة ارباع ما يمثل وسائر الروايات الربع . هذا من المعروف من رواياتهِ ولكن لهُ منها ما لم يُعرَف بعدُ ولم يتم كلهُ بل بقي خطاً لم يفسح لهُ اجلهُ باتمامهِ . ثم ان لهُ فضلاً آخر في غير الروايات التمثيلية وهو احسانهُ في الروايات القصصية التي عرَّب اكثرها عن دوماس فكان بتعريبها كانهُ نقل شخص دوماس الفرنسوي وجعلهُ بشخصهِ عربياً لفرط ما ابدع في الترجمة وكثرة ما اجاد في التركيب والانشآء ولذلك ترى رواياتهِ شائعة بين الجميع وهي قد طُبع اكثرها وقل ان يظفر احد بنسخة منها الآن لكثرة ما كان الاقبال عليها عظيماً حتى نفدت كلها مع ما

هو معروف من كساد سوق الآداب عندنا ولو فسح الله في اجلهِ وترقت الآداب في بلادنا لكان يعد ابن الشعب وزعيمهُ لاجماعهِ على احترامهِ ومحبتهِ

اما اخلاقهُ رحمهُ الله فقد كانت من ارقّ الاخلاق واطيبها وارضاها حسن العشرة لطيف المحادثة يأخذ كلامهُ بمجامع القلوب وتتعشقهُ الاسماع فلا تملّ لهُ حديثاً مهما طال . وكان محمود الصحبة لين الشكيمة جميل الصنع لم يسؤ احداً قط بلسانهِ ولا قلمهِ ولذلك كان قليل الحساد والمناصبين على اشتهار فضلهِ وعموم مدحهِ . الا انهُ كان قليل الرفق بنفسهِ خشن الجانب على حواسهِ وجوارحهِ لا يرعى لجسمهِ صحةً ولا يطلب لنفسهِ راحةً على شدة احتياجهِ الى ذلك مع ما فُطر عليهِ من ضعف البنية وتسلط الدآء فكان جسمهُ هو الصاحب الوحيد الذي يشكو صحبتهُ ويئن من عشرتهِ ولذلك لم تطل بينهما مدة هذا الاصطحاب . وكان لا يهمهُ شيء من اسباب السعادة في الدنيا ولا يبالي بشيء من نوازلها كثير الزهد في المال لا يهتمّ للغد ولا يثقل قدماً لدرهم ولم يكن ينال من اجرتهِ الا اقل من حقهِ مع انني اعرف كثيرين اقل منهُ علماً وخبرةً واضيق حيلةً عن التحصيل وهم ذوو مال ويسار . على انني التمس لهُ في ذلك عذراً بما هو معلوم من ان اموال الادب قلّ ان تكسب في بلادنا من طريق محمود واذا اراد احدٌ تصديق قولي بالبرهان فليخبرني عن الاديب المثري وانا اخبرهُ كيف اثرى .

ولقد قالوا ان العظيم ينبغي ان تنسى سيئاتهُ ولما كنت الآن في مقام المؤرخ فانني لا استطيع ان اذكر لفقيدنا سيئةً ولا غرو في ذلك فاننا اذا عرفنا ان الفقيد لم تكن لهُ صلةٌ دنيوية هان علينا ان نصدق انهُ لم تكن لهُ سيئة لان

السيئات لا تصدر الا حيث المطامع والجهاد في سبيل الحياة والتكسب وحينئذٍ فلم يبقَ لهُ الا الحسنات التي اذكرها وهي لا تحتاج الى برهان لانها بين ايدي الجميع وتحت ابصارهم وحواسهم يشاهدونها كل ساعة ويستثبتون بها ما اقول كلما ارادوا

اما تاريخ حياة الفقيد فهو كتاريخ حياة كل اديبٍ عامل لا يحتمل التطويل فيهِ اذ ليس ثمت وقائع ولا اسفار ولا دخول في حوادث عظيمة من حروب وسياسات او وظائف وخطط واشباه ذلك . وقد كان مولدهُ رحمهُ الله في ٢٥ فبراير سنة ١٨٦٧ في مدينة بيروت وبها نشأ وتلقى مبادئ العلم ثم جاء بعد ذلك الى الاسكندرية وتعلم بها الفرنسوية في مدرسة الفرير نحو السنتين ثم انتقل الى مدرسة الاميركان فاستزاد بها شيئاً من المعرفة في الفرنسوية والعربية وسائر علوم تلك المدرسة حتى اذا كانت الثورة العرابية هاجر الى بيروت مع اسرتهِ ودخل هناك المدرسة البطريركية حيث كان رصيفهُ بها كاتب هذه السطور فلبث بها سنةً واحدة يتلقى العلوم العربية على خالهِ استاذنا الاكبر صاحب هذه المجلة فاستفاد في هذه السنة فائدة جمة ثم انتقل بعد ذلك مدرساً في مدرسة بعلبك فاقام بها مدة وجيزة حتى استدعتهُ جريدة الاهرام بالاسكندرية ليكون من منشئيها وهو في الخامسة عشرة كما اسلفنا فبقي المنشئ الاول فيها مدة اثنتي عشرة سنة بلا انقطاع . ثم فارقها وانشأ جريدة لسان العرب فاشتهرت اشتهاراً عظيماً لانهُ استقلّ في انشائها وكان يجري فيها قلمهُ مع وحي خواطرهِ ولذلك كانت مقالاتهُ فيها طنانة وقد اجاد في بعضها اجادة كانت تذكرنا بما كتبهُ الهمذاني وابن

خلدون وامثالهما ولا سيما حين كان يكتب في الاخلاق . واظن ان اجل الفصول التي كتبها او كتبت الى الآن كانت في نصرة المظلوم ووجوب اسعاف الفقير ولهُ في هذا الشأن فصول طويلة لا استطيع الاستشهاد بها او ببعضها الآن لضيق المقام لكن اشتهار امرها يغنيني عن ذكرها . وعلى الجملة فان فصولهُ الاخلاقية او التي كان يصور بها عواطف الانسان وامياله ورغائبهُ في كل شيء كانت متناهية في الحسن . على انهُ مع شدة تصورهِ الاشيآء وحسن صناعتهِ في ايرادها وصوغها كان قليل الرغبة في المباحث السياسية فكان اشد ما عليهِ ان يكتب فصلاً سياسياً واظن انهُ لولا اضطرارهُ حين كان يكتب الاهرام ولسان العرب والسلام الى ذكر السياسة لما كتب فيها حرفاً واذا شئت استثبات ذلك رددتك الى لسان العرب الاسبوعي الذي اصدرهُ بعد لسان العرب اليومي فانهُ لم يكن فيهِ اثر للسياسة ولكن المقالات الاخلاقية والوصفية التي كتبت فيهِ لا يزال صداها يرن الى الآن ولا ريب ان ذلك منهُ عين الاصابة مع العلم بان السياسة في بلادنا لا قيمة لها ولا اثر ولو لقنهُ اياها بسمارك وغلادستون . وقد كان لهُ من سعة الخاطر في الكتابة وطول الباع في تناول الاغراض المختلفة ما يندر مثلهُ بين اصحاب الانشآء حتى كان لا يعجزهُ وجود غرض يكتب فيهِ بل انني اعلم ان اشرف مواضيعهِ واعلاها كان بسبب ما نراهُ احقر الاشيآء وادناها لانهُ كان يستطيع ان يبني على كل شيء كلاماً حتى لقد رايتهُ مرة كتب فصلاً بديعاً عن فتاةٍ صغيرة فقيرة كانت ترتعد برداً في شوارع الاسكندرية في الشتآء وفصلاً عن فتى مات برداً في قارعة الطريق على حين كانت

بقية الجرائد تكتب امثال هذه الحوادث في سطر او سطرين . بل انه رأى مرة امرأة تنظر وجهها في المرآة وقد جعلت خلفها مرآة اخرى تنظر بها قفاها فكتب فيها مقالة كانت في منتهى الحسن وهو تنبهٌ غريب قلما يخطر لسواهُ

وعلى الجملة فقد كان الفقيد يعد عجيباً في بعض حالاتهِ لان اقتدارهُ على التصوّر ثم اجادتهُ في الانشآء كانا يهوّنان عليهِ كل عسير في صناعة الكتابة . ولقد كنت اعجب بالكاتب الفرنسوي كزافيه دي مستر اذ قرأت عنهُ انهُ الف كتاباً يصف فيهِ مفردات مخدعهِ وكان يكتب فصلاً خصوصياً عن كل شيء فيهِ لكنني اعتقد ان الفقيد لو تنبه لمثل هذه الحالة لانتقل عجبي من ذلك الكاتب الفرنسوي الى هذا الكاتب العربي قياساً على ما اعهدهُ فيهِ من حدة التصور وارسال الآرآء الى تناول كل شيء

اما المطبوع من رواياتهِ فهو صلاح الدين فقط وقد كان بودّهِ ان يطبع كل ما كتب فلم تمهلهُ مدتهُ لما اراد . اما رواياتهُ الخطية فهي حمدان وشهدآء الغرام والسيد والمهدي والرجآء بعد اليأس والبخيل وثارات العرب . واما الروايات القصصية التي عرّبها فكان اولها رواية الفرسان الثلاثة بجميع اجزآئها وقد صارت هذه الرواية مشهورة بتعريبهِ بين ابنآء العرب كما هي مشهورة في الفرنسوية بين الفرنسويين وفي سائر الدنيا . ثم رواية غصن البان وقد اجاد فيها الى الغاية حتى فاق باجادتهِ لامارتين ولو كان القرآء عندنا يقدرون مبلغ العقل في الوصف مع حسن الاسلوب والديباجة لكانت هذه الرواية سمر كل اديب وقنية كل مترسل . ثم رواية فرسان الليل وغرام

واحتيال وفضيحة العشاق والعاشقة المتنكرة وحديث ليلة وكثير غير ذلك مما تحويه خزانتهُ الملأى باقوالهِ واشعارهِ ومقطعاتهِ ورسائلهِ الخصوصية وهي كلها تقريباً مما يتنافس بهِ ويعد دلالة على توقد ذهنهِ وقوة عارضتهِ وقد تظهر هذه الآثار كلها فتكون تزكيةً لشهادة هذا الضعيف الذي يغنيهِ اجماع الناس عن البيان ويكون ايثارهم لنفائسهِ وكثرة الثنآء عليهِ كفايةً لهُ عن مزيد الافاضة في البرهان

ولقد كنت اود توفية هذا الفقيد حقهُ من النوح والبكآء فاكرر ما بدأت بهِ من التأبين والرثآء وان اقف لهُ على الاسى اجفاني ودموعي واحص باحتمال الحزن فيهِ جوانحي وضلوعي فابى وفآء صديق الفقيد وصديقي خليل افندي المطران الاّ ان يشاركني في الاحتمال وينشد عني وعن كل صديق بلسان الحال فرثى الفقيد بافئدة الجميع حيث قال

ازأ بنفسك ان تكون نجيبا ... وازجر خليلك ان يكون اريبا
فلقد ارى موت الاديب حياتهُ ... والعيش موتاً يلتقيهِ ضروبا
وارى جوائز فضلهِ وعلومهِ ... اعسارَهُ والدآء والتعذيبا
يا للذكآء ينيرنا بضيآئهِ ... ويكون للجسم المضيء مذيبا
يا للعلوم نظنها نعماً لنا ... فنُصيبها نقماً لنا وخطوبا
ماذا افادك ان تكون محرراً ... ومحبراً ومفوّهاً ولبيبا
ماذا افادك كل نظمٍ شائقٍ ... لفظاً ومعنًى فائقٍ اسلوبا
من كل مبتكرٍ اغرَّ محجبٍ ... الا عليك فلم يكن محجوبا
ومجددٍ كالدر يُبدَل صوغهُ ... فتخالهُ عينُ الخبير قشيبا

نظمٌ تزيد بهِ الحقيقة رونقاً ... وتعيد مبتذل الامور عجيبا
كالشمس يسطع نورها في حمأةٍ ... فيحيل قاتم لونها تذهيبا
يا خير من خط الرثآء لو انهُ ... يجري لسال محاجراً وقلوبا
هلا رثيت بهِ شبابك قبل ان ... ترثي محبًّا راحلاً وحبيبا
يا ناسجاً برد الروايات التي ... يرمي بها الغرض الشريف مصيبا
هلا قصصت حديث اروع فاضل ... نال الحمامَ من الكمال نصيبا
غصنٌ نما حتى زكت اثمارهُ ... فرماهُ كيد زمانهِ مقضوبا
فمضيت مبكيًّا وما يغنيك لو ... انا ملأنا الخافقين نحيبا
هذا جزآؤك باحثاً متسهداً ... مستنفداً عرق الجبين صبيبا
هذا جزآؤك فاضلاً في امةٍ ... ما زال فيها الالمعيُّ غريبا
يتفكه النفر الافاضل منهمُ ... بجنى حياتك شاعراً واديبا
يتفكهون باحرفٍ اودعتها ... تلخيص عمرك مشرقاً ومغيبا
مهلاً وداعك للحياة تخطهُ ... في مهجةٍ كادت تجف نضوبا
نفثات مصدورٍ علت زفراتهُ ... حتى ترى التصعيد والتصويبا
عبرات محتضرٍ يضيءُ كشمعةٍ ... تفنى وترسل دمعها مسكوبا
فلكم لبسنَ من الكآبة صفرةً ... فكينَ انوار الزوال غروبا
فارقد فما احرى الردى وهو الكرى ... ان يستطاب على الاسى فيطيبا
القبر افضل للفتى من مضجعٍ ... فيهِ يقلَّب مُوجَعاً تقليبا
وجلامد الارماس اهون محملاً ... من ان يحمَّل مثلهنَّ كروبا

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون عرض لهُ كذا فاندهش وانذهل ولم يُحكَ مثال انفعل من هذين الحرفين وانما يقال دَهِش من باب تَعِب وذَهَل من باب منع وهي اللغة الفصحى (١)

ويقولون هو يسعى لنوال بغيتهِ وانما النوال بمعنى العطآء اي الشيء الذي يُعطى وليس بمصدرٍ لنال والصواب لنيل بغيتهِ

ويقولون امرهُ ان يصنع كذا فصدع بالامر يعنون انهُ اطاع وامضى ما أُمر بهِ ولم يأتِ صدع في شيء من هذا المعنى ولكن اصل هذا التعبير

---

(١) قال في المصباح دَهِش دَهَشًا فهو دَهِشٌ من باب تعب ذهب عقلهُ حيآءً او خوفاً ويتعدى بالهمزة فيقال ادهشهُ غيرهُ وهذه هي اللغة الفصحى . وفي لغةٍ يتعدى بالحركة فيقال دَهَشهُ خطبٌ دَهشًا من باب منع فهو مدهوش . اه . وقال في (ذ ه ل) ذهلتُ عن الشيء اذهل بفتحتين ذهولاً وقد يتعدى بنفسهِ فيقال ذَهَلتهُ والاكثر ان يتعدى بالالف فيقال اذهلني فلانٌ عن الشيء . اه . وقال الزمخشري ذهل عن الامر تناساهُ عمدًا او شُغل عنهُ وفي لغةٍ ذَهِل يذهل من باب تعب . اه . وبقي هنا قول صاحب المصباح والاكثر ان يتعدى بالالف بعد قولهِ وقد يتعدى بنفسهِ وهذا القول عجيبٌ من مثلهِ لان مقتضاهُ ان التعديتين بمعنًى واحد وانك تقول ذهلني فلانٌ عن الشيء كما تقول اذهلني وهو سهوٌ منهُ لان تعدية الفعل بنفسهِ انما تكون الى الشيء المذهول عنهُ تقول ذهلت الشيء مثل ذهلت عنهُ وتعديتهُ بالالف تكون الى الشخص الذاهل كما مثَّل فقولهُ والاكثر ان يتعدى بالالف ليس بشيء اذ لا تنظير هنا لان كلاً من التعديتين من وادٍ كما يظهر بادنى تأمل .